[٥]

اللباب في علم الله تعالى

تصحيح و تحقيق

مهدی حاجیان

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله العليم الحكيم الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرّة في السماوات و لا في الأرض[1]، والصلاة على محمّد وأهل بيته الذين هم ذرّية بعضها من بعض[2].

أمّا بعد، فيقول الفقير إلى ربّه المهيمن محمّد بن مرتضى المدعوّ بمحسن ـ طهّر الله سريرته ونوّر بصيرته ـ: هذا لباب القول في الإشارة إلى كيفيّة علم الله سبحانه بالأشياء كلّياتها وجزئياتها، معقولاتها ومحسوساتها، بحيث لا يثلم وحدته وبساطته ولا يقصر عن خبره وإحاطته على الوجه الذي يوافق الأصول الحكمية ويطابق القواعد الدينيّة ولا تناله أيدي المناقشات ولا تطول عليه ألسنة المؤاخذات، كتبته بالتماس ولدي الموفّق للهدى محمّد الملقّب بعلم الهدى ـ زاده الله في الفهم وصفا عقله عن شوائب الوهم ـ، فإنّها أغمض المسائل الحكمية مدلولاً، وأدقّها دليلاً، وأعزّها منالاً، وأوعرها[3] سبيلاً، حتّى أنّ قوماً من البارعين في الحكمة زلّت فيها أقدامهم وقصرت عن بلوغ ذرتها أفهامهم. وإنّما التأييد من الله في الوصول ونبيّن ذلك في فصول:

[۱] فصل

[في تضائف العالم والمعلوم وعدم انفكاكهما]

اعلم، أنّ العالمية والمعلومية هما عين الفاعلية والمفعولية أو لازمتان لهما؛ لأنّ العلم عبارة عن حصول المعلوم للعالم. وليست الفاعلية أيضاً إلّا حصول المفعول للفاعل أو تحصيل الفاعل المفعول. فإنّك إذا تصوّرت صورة في نفسك، فعين تصوّرك إيّاها عين حصولها لك وعين علمك بها، وتصوّرك إيّاها ليس إلّا إنشاؤك لها في ذاتك وإيداؤك إيّاها، مع أنّك لست مستقلاً في هذا الإنشاء والإيداء؛ بل أنت محلّ لها. وإنّما يفيض عليك ممّا فوقك حين حصول شرائطها

---

۱ ـ إشارة إلى قوله تعالى في سورة سبأ: ۳.

۲ ـ إشارة إلى قوله تعالى في سورة آل عمران: ۳۴.

۳ ـ الأوعر: المكان الصلب، ضدّ السهل.

فيك واستعدادك لها. فلو كان الإنشاء منك بالاستقلال، لكان أولى بأن يكون علماً لك بها. فذاتك من حيث هي مع قطع النظر عن تصوّرك لتلك الصورة متقدّمة على التصوّر والصورة، ومن حيث تصوّرها لتلك الصورة لا ينفكّ عنها[١].

[٢] فصل
[في علم الله تعالى بذاته وأفعاله الذاتي]

قد ثبت أنّ الله سبحانه قديم بذاته متفرّد بالأزلية: «كان الله ولم يكن معه شيء»[٢]، ثمّ أنّه أوجد الأشياء جميعاً بذاته، بحيث لا يخرج شيء منها عن إبداعه وتكوينه. وإن كان بعضها عقيب بعض بترتيب سببي ومسبّبي على نحو لا يقدح كثراتها وتركّباتها الحاصلة بعد الذات الأحدية في وحدته الحقّة وبساطته الحقيقيّة. وأنّه سبحانه يعلم ذاته بذاته في مرتبة ذاته لحصول ذاته بذاته لذاته في مرتبة ذاته.

وثبت أنّ العلم التامّ بالفاعل بما هو فاعل لا ينفكّ عن العلم بالمفعول: «أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ»[٣].

وقد ثبت أيضاً أنّ صفاته عزّ وجلّ عين ذاته بحسب الوجود. وإن كانت غيرها بحسب المفهوم، بمعنى أنّ ذاته بذاته وجود وعلم وقدرة وإرادة وحياة، كما أنّه موجود وعليم وقدير ومريد وحيّ، يترتّب على الذات ما يترتّب على الصفات من الآثار من دون معنى زائد قائم بذاته. فكما أنّ علمه بذاته عين ذاته، بمعنى أنّه لا يحتاج في علمه بذاته إلى شيء غير ذاته، فعلمه بما يفعل ذاته أيضاً عين ذاته بهذا المعنى. وإن كان بعد ذاته وبعد علمه بذاته باعتبار المرتبة، وفي مرتبة الاعتبار حيث إنّه لابدّ في ذلك من اعتبار المفعول المتأخّر[٤] عن مرتبة

---

١ ـ خ ل: عنها.

٢ ـ روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «كان الله و لا شيء معه». [بحار الأنوار، ج ٥٤، ص ١٩٨، ح ١٤٢ و ج ١٥، ص ٢٧، ح ٤٨] وأيضاً روي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام مثل ذلك، فراجع: التوحيد، ص ٧٦، ح ٢٠؛ بحار الأنوار، ج ٥٤، ص ٦٦.

٣ ـ الملك: ١٤.

٤ ـ خ ل: متأخراً.

الذات. وذلك لأنّ فاعليته ليست إلّا بذاته، فلا تغاير بين ذاته وعلمه بذاته لا بالذات ولا بالاعتبار، ولا بين علمه بذاته وعلمه بما يفعل ذاته بالذات وإن تغايرا بالاعتبار.

[٣] فصل

[في عدم تعدّد علمه تعالى بنفسه وعلمه بخلقه]

علمه سبحانه بالأشياء صفة نفسية أزلية، كما أنّ علمه بذاته صفة نفسية أزلية، فعلمه تعالى بنفسه وعلمه بخلقه واحد غير منقسم ولا متعدّد، لكنّه يعلم نفسه بما هو له ويعلم خلقه بما هم عليه. وليس أنّ معلوماته أعطته العلم من نفسها، كما ظنّ وإلّا لزم أن يكون مستفيداً من غيره تعالى عن ذلك؛ بل إنّها ما تعيّنت في علمه إلّا بما علمها عليه لا بما اقتضته ذواتها، ثمّ اقتضت ذواتها بعد ذلك من نفسها أموراً هي عين ما علمها عليه أوّلاً. فحكم لها ثانياً[١] بما اقتضته وما حكم إلّا بما علمه.

[٤] وصل

[في حصول الأشياء كلّها لذاته سبحانه بعد مرتبة علمه بذاته]

قد ظهر من هذه الأصول، أنّ للأشياء كلّها حصولاً لذاته سبحانه بعد مرتبة علمه بذاته بعدية بالذات والرتبة، من غير لزوم كثرة في ذاته بسبب تكثّرها لوقوعها على الترتّب الذي يجمع الكثرة في وحدة، كما أشار إليه أبونصر الفارابي ﷺ بقوله: «واجب الوجود مبدأ كلّ فيض وهو ظاهر على ذاته بذاته، فله الكلّ من حيث لا كثرة فيه، فهو من حيث هو[٢] ظاهر ينال الكلّ من ذاته، فعلمه بالكلّ بعد ذاته وعلمه بذاته[٣] ويتّحد الكلّ بالنسبة إلى ذاته، فهو الكلّ في وحدة»[٤].

---

١ ـ خ ل: + و.

٢ ـ خ ل: ـ هو.

٣ ـ في المصدر: فعلمه بالكلّ بعد ذاته، وعلمه بذاته نفس ذاته، فتكثّر علمه بالكلّ كثرة بعد ذاته ... .

٤ ـ فصوص الحكم (فصّ ١١)، ص ٥٨ ـ ٥٩. وأورد صدر المتألهين هذه الفقرة في الأسفار الأربعة، ج ٦، ص ٢١٧ والمبدأ والمعاد، ص ٩٩.

[٥] فصل

[في تحقيق أنّ علمه تعالى بالأشياء بعينه هذا الوجود المشاهد]

الآن فلنفتّش ونفحّص هل ذلك الحصول هو بعينه هذا الوجود المشاهد من العالم، أم هو حصول آخر غير هذا متقدّم على هذا. وهذا إنّما ينشأ به وبتوسّطه شيئاً فشيئاً.

فنقول: إنّ العارفين بالأمر على ما هو عليه بشهود وعيان لا يشكّون في أنّ هذا هو ذاك من وجه، وأنّه غير ذاك من وجه آخر. وذلك لأنّهم يعلمون أنّ حصول الأشياء لله سبحانه وتحقّقها عنده، وحضورها لديه ليس على نحو حصولها لنا، وتحقّقها عندنا وحضورها لدينا كيف وحصولها له عزّ وجلّ حصول لفاعلها وموجدها ومنشأها ومحدثها ولمن هو محيط بها ويشاهدها على ما هي عليه. وحصولها لنا حصول لمن لم يفعلها ولم يحط بها ولم يشاهدها على ما هي عليه، فللأشياء وجهان:

وجه إلى الحقّ سبحانه؛ وهي من هذا الوجه حاصل له، متحقّق عنده، حاضر لديه في الأزل حصولاً جمعياً وحدانياً غير متكثّر ولا متغيّر باق. وبالجملة على ما يناسب ذاته سبحانه وصفاته وأفعاله.

ووجه آخر إلينا؛ وهي من هذا الوجه لم تحصل ولم تتحقّق ولم توجد إلّا في ما لا يزال وجوداً متفرّقاً متكثّراً متغيراً نافداً. وبالجملة على ما يناسب ذواتنا، فالوجود واحد والوجه إثنان. وإليه أشير بقوله عزّ وجلّ: «مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ»[١]. وبقوله سبحانه: «كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ»[٢]، أي حقيقته التي منه عند ربّه. ولمّا كان الله سبحانه محيطاً بنا، وهو معنا أينما كنّا[٣]؛ بل هو أقرب إلينا منّا[٤]، فهو يشاهد الأشياء بهذا الوجه الذي نشاهدها بعينه، أيضاً بعين مشاهدتنا إيّاها، فإذن لا يعزب عن علمه مثقال ذرّة في السماوات ولا في الأرض

١- النحل: ٩۶.

٢- القصص: ٨٨.

٣- إشارة إلى قوله تعالى: «وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ». [الحديد: ۴]

۴- إشارة إلى قوله تعالى: «وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ». [الواقعة: ٨٥]

ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلّا في كتاب مبين[١].

[۶] وصل
[في مناط علمه سبحانه والأقوال فيها]

فمناط علمه سبحانه بالأشياء ليس إلّا ذواتها الموجودة في الأعيان[٢] لا صور أخرى غيرها قائمة بذواتها، أو بذاته عزّ وجلّ، أو بالجواهر العقلية[٣]، أو صور ثابتة غير موجودة ولا معدومة[٤]، أو غير ذلك، كما ظنّ كلاًّ منها طائفة. وكما أنّه عزّ وجلّ لا يحتاج في إيجاد الأشياء إلى أصل ومثال يوجدها منها وعلى طبقها؛ بل هو المبدع إيّاها لا من شيء، كذلك لا يحتاج في علمه بها إلى صور أخرى غيرها يعلمها بها. ونحن إنّما نحتاج في إدراكنا لبعض الأشياء إلى حصول صور لها في ذواتنا لغيبتها عنّا وانفصالها منّا. ومع ذلك، فلا نعلم تلك الأشياء إلّا بالعرض وليس معلومنا بالذات إلّا الصور التي في ذواتنا، وأمّا هو الله سبحانه، فلا يغيب عنه شيء؛ لأنّه فاعل لكلّ شيء، قاهر فوق كلّ شيء، رقيب على كلّ شيء، وفعله علمه، وعلمه فعله يفعله معلوماً ويعلمه مفعولاً، وعلمه بصره، وبصره علمه. ولو كان علمه بالأشياء بالصور لما كان وجوداتها العينية معلومة له إلّا بالعرض، مع أنّه تعالى فاعل لها بوجوداتها العينية. والعلم بالفاعل يستلزم العلم بمفعوله على النحو الذي هو مفعول، لا على نحو آخر.

[٧] وصل
[في كيفية علمه تعالى بالأشياء المادّي]

إن قيل: أ ليس مدار العلم عند أهل العلم على التجريد عن المادّة، فكيف تصير الأشخاص

---

١ ـ إشارة الى قوله تعالى في سورة سبأ: ٣.

٢ ـ الظاهر هذا مذهب الشيخ شهاب الدين السهروردي القائل بكون وجود صور الأشياء في الخارج سواء كانت مجردات أو ماديات، مركبات أو بسائط مناطاً لعالميته تعالى بها والفيض ﷺ اختار هذا المذهب ولم يذكر مذهب صدر المتألهين في علم الله تعالى.

٣ ـ هذا مذهب أفلاطون الالهي من إثبات الصور المفارقة والمثل العقلية وأنّها علوم إلهيّة بها يعلم الله الموجودات كلّها. [الأسفار الأربعة (الموقف ٣، الفصل ۴)، ج ۶، ص ١٨١]

۴ ـ هذا مذهب القائلين بثبوت المعدومات الممكنة قبل وجودها وهم المعتزلة. [الأسفارالأربعة، ج ۶، ص ١٨١]

الجسمانية معلومة بأنفسها لا بصورها المنتزعة عن موادّها؟

قلنا: ذلك إنّما يكون في الأشياء التي لم يتحقّق للعالم بالإضافة إليها علاقة إيجادية وتسلّط فاعلي قهري وإشراق نوري من غير احتجاب، كما أشار إليه بعضهم بقوله: «إنّ الشيء المادي والزماني بالنسبة إلى المبادي غير مادي ولا زماني، يعني به ارتفاع أثر المادّة وأثر الزمان عنه وهو الخفاء والغيبة»[1].

[۸] أصل[2]

[في عدم التغيّر في علم الله تعالى]

فقد ثبت وتبيّن أنّ الله سبحانه عالم بالموجودات كلّها في الأزل على ما هي عليه فيما لا يزال علماً ثابتاً، لا يتغيّر بتغيّر المعلوم ولا يتفاوت بحدوث وجودات الأشياء، فيما لا يزال بعد فقدانها في الأزل على ما هي عليه عندنا. وذلك لأنّه لا ينافي فقدانها في الأزل على ما هي عليه عندنا؛ لأنّه إنّما يعلمها في الأزل بوجوهها التي عنده وبجميع أحوالها الثابتة لها في نفس الأمر. ومن جملة أحوالها الثابتة لها في نفس الأمر[3] أنّها بوجوهها التي عند أنفسها فيما لا يزال دون أن تكون في الأزل. وذلك لإحاطته جلّ وعزّ في الأزل بما لا يزال وما فيه كإحاطته بالأزل وما فيه، فإنّه تعالى محيط بجميع الأزمنة والأمكنة وما فيها من الزمانيات والمكانيات، كما أنّه محيط بما خرج عنها.

فإن قلت: إنّها لم تكن موجودة في الأزل، فكيف أحاط بها في الأزل؟

قلنا: إنّها وإن لم تكن موجودة في الأزل لأنفسها وبقياس بعضها إلى بعض على أن يكون الأزل ظرفاً لوجوداتها كذلك، إلّا أنّها موجودة فيه لله سبحانه وجوداً جمعياً وحدانياً غير متغيّر، بمعنى أنّ وجوداتها اللاّ يزالية الحادثة ثابتة لله سبحانه في الأزل كذلك.

وهذا كما أنّ الموجودات الذهنيّة موجودة في الخارج، إذا قيّدت بقيامها بالذهن، وإذا

---

۱ ـ المبدأ والمعاد، ص ۱۱۵. وصدر المتألهين ذكر بعد هذا إيرادات واردة على مذهب الشيخ الإشراق.

۲ ـ خ ل: وصل.

۳ ـ خ ل: ـ ومن جملة أحوالها الثابتة لها في نفس الأمر.

أطلقت من هذا القيد، فلا وجود لها إلّا في الذهن، فالأزل يسع القديم والحادث والأزمنة وما فيها وما خرج عنها. وليس الأزل كالزمان وأجزائه محصوراً مضيّقاً يغيب بعضه عن بعض ويتقدّم جزء ويتأخّر آخر؛ فإنّ الحصر والضيق والغيبة من خواص الزمان والمكان وما يتعلّق بهما. والأزل عبارة عن اللّا زمان السابق على الزمان سبقاً غير زماني وليس بين الله سبحانه وبين العالم بعد مقدّر، لأنّه إن كان موجوداً يكون من العالم وإلّا لم يكن شيئاً ولا ينسب أحدهما إلى الآخر من حيث الزمان بقبلية ولا بعدية ولا معية لانتفاء الزمان عن الحقّ وعن ابتداء العالم، فسقط السؤال بـ«متى» عن العالم، كما هو ساقط عن وجود الحقّ، لأنّ بـ«متى» سؤال عن الزمان ولا زمان قبل العالم، فليس إلّا وجود بحت خالص ليس من العدم وهو وجود الحقّ ووجود من العدم وهو وجود العالم، فالعالم حادث في غير زمان. وإنّما يتعسّر فهم ذلك على الأكثرين لتوهّمهم الأزل جزءاً من الزمان يتقدّم سائر الأجزاء. وإن لم يسمّوه بالزمان، فإنّهم أثبتوا له معناه وتوهّموا أنّ الله سبحانه فيه ولا موجود فيه سواه، ثمّ أخذ يوجد الأشياء شيئاً فشيئاً في أجزاء آخر منه.

وهذا توهّم باطل وأمر محال، فإنّ الله عزّ وجلّ ليس في زمان ولا في مكان؛ بل هو محيط بهما وبما فيهما وما معهما وما تقدّمهما.

وتحقيق ذلك يقتضي نمطاً آخر من الكلام لا يسعه العقول المشوبة بالأوهام، ولنشير إلى لمعة منه لمن كان أهله.

[٩] وصل

[في نسبة ذاته سبحانه إلى مخلوقاته]

إنّ نسبة ذاته سبحانه إلى مخلوقاته يمتنع أن تختلف بالمعية واللّا معية، وإلّا فيكون بالفعل مع بعض وبالقوّة مع آخرين، فيتركّب ذاته من جهتي فعل وقوّة، وتتغيّر صفاته حسب تغيّر المتجدّدات المتعاقبات ـ تعالى عن ذلك ـ: بل نسبة ذاته التي هي فعلية صرفة وغناء محض من جميع الوجوه إلى الجميع. وإن كان من الحوادث الزمانية نسبة واحدة ومعية قيومية ثابتة غير زمانية ولا متغيرة أصلاً. والكلّ بغنائه بقدر استعداداتها مستغنيات كلّ في محلّه ووقته

وعلى حسب طاقته. وإنّما فقرها وفقدها ونقصها بالقياس إلى ذواتها وقوابل ذواتها. وليس هناك إمكان وقوّة البتة. فالمكان والمكانيات بأسرها بالنسبة إلى الله تعالى كنقطة واحدة في معية الوجود «وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ»[۱]. والزمان والزمانيات بآزالها وآبادها كان واحداً عنده في ذلك: «جفّ القلم بما هو كائن»[۲] و«ما من نسمة كائنة إلّا وهي كائنة»[۳].

والموجودات كلّها شهاداتها وغيبياتها كموجود واحد في الفيضان عنه: «مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ»[۴]. وإنّما التقدّم والتأخّر والتجدّد والتصرّم والحضور والغيبة في هذه كلّها بقياس بعضها إلى بعض في مدارك المحبوسين في مطمورة[۵] الزمان المسجونين في سجن المكان لا غير. وإن كان هذا ممّا تستغربه الأوهام ويشمئزّ عنه قاصر الأفهام.

وأمّا قوله عزّ وجلّ: «كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ»[۶]. فهو كما قاله بعض أهل العلم: «إنّها شؤون يبديها، لا شؤون يبتديها»[۷]. فلتبصر[۸].

[۱۰] وصل

[في كيفيّة وجود الحادث في الأزل وبيان تمثيل في تبيينه]

ولعلّ من لم يفهم بعض هذه المعاني يضطرب، فيصول[۹] ويرجع، فيقول: كيف يكون وجود الحادث في الأزل؟ أم كيف يكون المتغيّر في نفسه ثابتاً عند ربّه؟ أم كيف يكون الأمر المتكثّر المتفرّق وحدانياً جمعياً؟ أم كيف يكون الأمر الممتدّ ـ أعني الزمان ـ واقعاً في غير

۱ ـ الزمر: ۶۷.
۲ ـ مسند أحمد، ج ۱، ص ۲۰۷؛ فتح الباري، ج ۱۱، ص ۴۳۱؛ شرح أصول الكافي، ج ۸، ص ۱۵.
۳ ـ صحيح مسلم، ج ۴، ص ۱۵۸؛ صحيح البخاري، ج ۳، ص ۱۲۲؛ السنن الكبرى، ج ۹، ص ۷۴.
۴ ـ لقمان: ۲۸.
۵ ـ المطمورة: الحفيرة تحت الأرض تخبأ فيها الحبوب. الحبس.
۶ ـ الرحمن: ۲۹.
۷ ـ يقال إنّ عبدالله بن طاهر سأل الحسين بن الفضل عن قوله تعالى: «كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ». فأجاب: هي شؤون يبديها، لا شؤون يبتديها. فقام إليه وقبّل رأسه. [بحار الأنوار، ج ۴، ص ۹۳؛ فتح الباري، ج ۱۱، ص ۴۳۱]
۸ ـ راجع: أصول المعارف، ص ۲۶ ـ ۲۷؛ عين اليقين، ج ۱، ص ۲۴۷ ـ ۲۴۸.
۹ ـ صال يصول عليه: سطا عليه وقهره.

الممتدّ ـ أعني اللّا زمان ـ مع التقابل الظاهر بين هذه الأمور؟

فلنمثّل له بمثال حتّى يكسر سورة[1] استبعاده، فإنّ مثل هذا المعترض لم يتجاوز بعد درجة الحسّ والمحسوس. فليأخذ أمراً ممتداً كحبل أو خشب مختلف الأجزاء في اللون وليمرره في محاذاة نملة أو نحوها ممّا تضيق حدقته عن الإحاطة بجميع ذلك الامتداد. فتكون تلك الألوان المختلفة متعاقبة في الحضور لديها. تظهر لها شيئاً فشيئاً واحداً بعد آخر لضيق نظرها. ومتساوية في الحضور لديه يراها كلّها دفعة واحدة لقوّة إحاطة نظره وسعة حدقته «وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ»[2].

[١١] وصل

[في أنّه سبحانه أدرك الأشياء جميعاً في الأزل إدراكاً تامّاً]

فهو سبحانه أدرك الأشياء جميعاً في الأزل إدراكاً تامّاً، وأحاط بها إحاطة كاملة. فهو عالم فيه، بأنّ أيّ حادث يوجد في أيّ زمان من الأزمنة، وكم يكون بينه وبين الحادث الذي بعده أو قبله من المدّة ولا يحكم بالعدم على شيء من ذلك. بل بدل ما نحكم بأنّ الماضي ليس موجوداً في الحال، يحكم هو بأنّ كلّ موجود في زمان معين لا يكون موجوداً في غير ذلك الزمان من الأزمنة التي تكون قبله أو بعده. وهو عالم بأنّ كلّ شخص في أيّ جزء يوجد من المكان، وأيّ نسبة تكون بينه وبين ما عداه ممّا يقع في جميع جهاته وكم الأبعاد بينهما على الوجه المطابق للحكم. ولا يحكم على شيء بأنّه موجود الآن أو معدوم، أو موجود هناك أو معدوم، أو حاضر أو غائب، لأنّه سبحانه ليس بزماني ولا مكاني، بل هو «بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ»[3] أزلاً وأبداً «يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ»[4].[5]

---

١ ـ السورة: ما طال من البناء إلى جهة السماء.

٢ ـ يوسف: ٧۶.

٣ ـ فصلت: ۵۴.

۴ ـ البقرة: ٢۵۵.

۵ ـ راجع: أصول المعارف، ص ٢٨؛ عين اليقين، ج ١، ص ٣۵٠.

[١٢] وصل

[في بعض ما ورد عن أهل البيت عليهم السلام في هذا الباب]

من عرف ما حقّقنا عرف معنى ما ورد عن أهل البيت ـ صلوات الله عليهم ـ في هذا الباب من الروايات، كقول أمير المؤمنين عليه السلام: «لم يسبق له حال حالاً، فيكون أوّلاً قبل أن يكون آخراً، ويكون ظاهراً قبل أن يكون باطناً»[١][٢].

وكقوله عليه السلام: «أحاط بالأشياء علماً قبل كونها، فلم يزدد بكونها علماً علمه بها قبل أن يكوّنها كعلمه بعد تكوينها»[٣].

وكقوله عليه السلام: «علمه بالأموات الماضين كعلمه بالأحياء الباقين، وعلمه بما في السماوات العلى كعلمه بما في الأرضين السفلى»[٤].

وكقول الباقر عليه السلام: «كان الله ولا شيء غيره، ولم يزل الله عالماً بما كوّن، فعلمه به قبل كونه كعلمه به بعد ما كوّنه»[٥].

وكقوله عليه السلام: «ولا كان خلواً من الملك قبل إنشائه، ولا يكون منه خلواً بعد ذهابه»[٦].

وكقول الصادق عليه السلام: «لم يزل الله عزّ وجلّ ربّنا، والعلم ذاته ولا معلوم، والسمع ذاته ولا مسموع، والبصر ذاته ولا مبصر، والقدرة ذاته ولا مقدور، فلمّا أحدث الأشياء، وكان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم، والسمع على المسموع، والبصر على المبصر، والقدرة على المقدور»[٧].

وكقول الكاظم عليه السلام: «لم يزل الله عالماً بالأشياء قبل أن يخلق الأشياء، كعلمه بالأشياء بعد

---

١ ـ راجع: أصول المعارف، ص ٢٨؛ عين اليقين، ج ١، ص ٣٥٠.
٢ ـ نهج البلاغة، الخطبة ٦٥؛ بحار الأنوار، ج ٥٤، ص ٢٨٥.
٣ ـ الكافي، ج ١، ص ١٣٤.
٤ ـ نهج البلاغة، الخطبة ١٦٣.
٥ ـ التوحيد للصدوق رحمه الله، ص ١٤٥، ح ١٢؛ بحار الأنوار، ج ٢، ص ٨٦، ح ٢٣.
٦ ـ الكافي، ج ١، ص ٨٨، ح ٣.
٧ ـ الكافي، ج ١، ص ١٠٧، ح ١.

ما خلق الأشياء»[١].

وكقول الرضا عليه السلام: «له معنى الربوبيّة إذ لا مربوب، وحقيقة الإلهيّة إذ لا مألوه، ومعنى العالم ولا معلوم، ومعنى الخالق ولا مخلوق، وتأويل السمع ولا مسموع. ليس مذ خلق استحقّ معنى الخالق ولا بإحداثه البرايا استفاد معنى البارئيّة؛ كيف ولا تغيّبه «مذ»، ولا تدنيه «قد»، ولا يحجبه «لعلّ»، ولا يوقّته «متى»، ولا يشتمله «حين»، ولا تقارنه «مع»»[٢].[٣]

هذا ما أردنا إيراده في هذا المختصر، وهو لباب الكلام في هذا المقام للمتوسّطين من ذوي الأفهام. ومن أراد الزيادة عليه أو أعلى منه، فليطلبه من كتابنا الموسوم بعين اليقين، فإنّ فيه أسراراً لا يحتملها الأكثرون، ولا يمسّها إلّا المطهّرون.

والحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على محمّد وآله الطاهرين.

١ ـ الكافي، ج ١، ص ١٠٧.

٢ ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ١، ص ١٥٢؛ الاحتجاج، ج ٢، ص ٤٠٠؛ بحار الأنوار، ج ٤، ص ٢٢٩، ح ٣.

٣ ـ راجع: أصول المعارف، ص ٢٨؛ عين اليقين، ج ١، ص ٣٥١.